Rusydiah: Jurnal Pemikiran Islam
Vol. 5, no. 1, 2024, 1-21
https://doi.org/10.35961/rsd.v5i1.1461

The Conflict Between Social Classes in Qur'anic and Marxist Expression: An Expressive and Interpretive Research

الصراع بين الطبقات الاجتماعية في التعبير القرآني والماركسي: دراسة تعبيرية تأويلية

Muhammad Makmun[1]*, Siti Marpuah[2]

[1] UIN Walisongo Semarang, Indonesia
[2] Universiti Tun Hussein Onn Malaysia, Malaysia
* *mmakmun@walisongo.ac.id*

الملخص

هذه الرسالةُ تهدف إلى استكشاف تعبير القرآن الكريم وتعبير كارل ماركس حول الصراع بين الطبقات الاجتماعية، حيث يُعتبر الاختلاف بين الناس مصدرًا للصراعات والنزاعات بينهم، وقد يؤدي إلى التبعية المتبادلة والتدمير بين الأطراف المتعارضة. تستخدم هذه الرسالةُ المقاربةَ التعبيرية والمقاربة التأويلية لفهم تعبيرالقرآن وتعبير ماركس حول هذه القضية. فدلت الرسالة على أن القرآن يتعامل مع هذه القضية ضمن سياق الإرشادات الدينية للإنسانية، حيث يعترف بوضوح بوجود الصراع بين الطبقات الاجتماعية ويؤكد على حقوق الملكية الفردية. ولا يقترح القرآن الكريم إزالة هذا الصراع، بل يستخدمه لتأكيد أهمية العودة إلى قاعدة التوازن والعدالة لجميع أفراد المجتمع. ومن جهة أخرى، يتحدث كارل ماركس عن هذه القضية في إطار الشؤون السايسية والاقتصادية بحيث يعترف بوجود التفاوت بين الطبقات ويسعى للتخلص منه لمواجهة الظلم الذي يمارسه الأثرياء على الفقراء. ويقترح ماركس الشيوعية كحلاً لإنشاء نظام اجتماعي خالٍ من الطبقات، حيث يتم توزيع الثروة والسلطة بالتساوي.

الكلمات المفتاحية: الصراع، الطبقات الاجتماعية، القرآن، كارل ماركس، مقاربة تعبيرية وتأويلية

Submissions:
03-03-2024
Accepted:
04-06-2024
Published:
19-06-2024

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

Abstract

This article aims to present the expressions of the Qur'an and the thoughts of Karl Marx on the issue of social class conflict. In contexts where human differences can become sources of conflict and contention, often leading to mutual degradation and destruction, this study is crucial. This research employs the "expressive approach" and the "hermeneutic approach" to analyze the expressions of the Qur'an and Marx's thoughts on social class conflict. The findings indicate that the Qur'an addresses this issue within a religious context as guidance for humanity, acknowledging social disparities and affirming individual ownership rights without denying the existence of social class conflict. The Qur'an uses this conflict as an opportunity to return to tolerance, balance, and justice without rejecting or abolishing any social class. Conversely, Karl Marx discusses this theme in a political and economic context, recognizing social class disparities and striving to eliminate them to overcome the injustices perpetrated by the wealthy against the weak. He proposes communist ideology as a solution to create a classless social system, where thought, governance, and wealth are distributed equally, with political power that he considers ideal.

***Keywords**: Conflict, Social Class, Qur'an, Karl Marx, Expressive Approach, Hermeneutic Approach*

المقدمة

يُعتبر الاختلاف بين البشر من أجمل هدايا من الله،[1] ومع ذلك فقد يصبح هذا الاختلاف سببًا للصراعات بينهم.[2] ومن أبرز هذه الاختلافات، تلك التي تنشأ بين الطبقات الاجتماعية، حيث غالبًا ما تؤدي هذه الاختلافات إلى النزاعات والصراعات نتيجة لتباين المصالح بين الأفراد أو بين مجموعات المجتمع المختلفة.[3] وفي الواقع، ليس من النادر أن تسفر الاختلافات الطبقية عن مظاهر الاستبعاد المتبادل والتدمير المتبادل بين الأطراف المتنازعة. عادةً ما يكون هذا الصراع الاجتماعي عموديًا، أي أنه يحدث بين الطبقة الاجتماعية السفلى والطبقة الاجتماعية العليا.

هذه الظاهرة ليست حديثة العهد، بل هي ظاهرة كلاسيكية بمعنى أنها تمتد إلى ما قبل نزول القرآن الكريم واستمرت بعده. لذلك، فإن البحث في تعابير القرآن الكريم وأساليبه في الرد على ظاهرة الصراع الطبقي الاجتماعي والاستجابة لها يحتل مكانة مركزية لسببين رئيسيين: أولاً، يقدم القرآن الكريم رؤية مفادها أن البشر قد يختلفون في طبقاتهم الاجتماعية،

---

[1] إبراهيم أمين محمد، "مقدمة المحقق" في أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني الشافعي، *رحمة الأمة في اختلاف الأئمة*، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، دون سنة)، ص. 3.

[2] عمر مسقاوي، "تقديم الترجمة"، في مالك بن نبي، *مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*، (دمشق: دار الفكر، 2002)، ص. 7.

[3] توماس سانتوسو، *الصراع والسلام*، بالإندونيسية:

Tomas Susanto, *Konflik dan Perdamaian*, (Surabaya: CV Saga Jawadwipa, 2019), p. 7.

ولكنه في الوقت نفسه يؤكد أن البشر متساوون في وظائفهم الاجتماعية.[4] ثانيًا، التعبير القرآني يعد مفتاحًا للإعجاز،[5] حيث لا يكتفي بالإعجاز البلاغي بل يتطرق إلى الأسرار العلمية ليشمل كل ما يتعلق بالموضوع من ألفاظ وأساليب ومعانٍ غير مسبوقة، خاصة في قضية الطبقات الاجتماعية.

وبما أن التعبير القرآني هو وحي رباني متعالٍ،[6] فإن مقارنة هذا التعبير بالتعبير البشري كما في أفكار الفيلسوف كارل ماركس تتيح فرصة لفهم أعمق لقضية "الطبقات الاجتماعية والصراع بينها". تم اختيار أفكار كارل ماركس نظراً لأهمية العناية بهذه القضية المركزية،[7] التي كانت محور دعوات جميع الرسل والأنبياء عبر التاريخ. تتجلى أهمية هذه الدراسة في أن قضية الصراع بين الطبقات الاجتماعية هي قضية قديمة متجددة. فهي قديمة لأنها نشأت مع تاريخ البشر، حيث نزل الوحي الإلهي على الرسل والأنبياء لحلها.[8] وهي متجددة لأن الصراع الطبقي ما زال يمثل مشكلة مستمرة في المجتمعات الحديثة،[9] حيث يحاول المفكرون والفلاسفة، بما فيهم كارل ماركس، استنباط أفكار جديدة وتنفيذها لحل هذه المشكلة.

تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة التعبير القرآني الرباني بالتعبير الإنساني لماركس في تناول قضية الصراع الطبقي الاجتماعي. تسعى الدراسة إلى معرفة الخصائص والسمات لكل من هذين التعبيرين، بالإضافة إلى تحديد أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، مما يساهم في فهم أعمق وأشمل لقضية الطبقات الاجتماعية من منظور ديني وفلسفي. ومن خلال ذلك، تأمل الدراسة في تقديم رؤى جديدة ومقاربات مبتكرة لفهم وتحليل الصراعات الطبقية، مستفيدة من الحكم الرباني والتأويل الإنساني للوصول إلى حلول مستدامة لهذه المشكلة الاجتماعية المتجذرة.[10]

المنهج

الباحث في بحثه يركز على تحليل التعبير القرآني والماركسي وفقًا لخصائصهما وسماتهما، بالإضافة إلى مراعاة التحديات والظروف الزمانية والمكانية المحيطة بهما. يستخدم الباحث في بحثه مقاربتين رئيسيتين: المقاربة التعبيرية والمقاربة التأويلية.

---

[4] محمد حسين الطباطبائي، *الميزان في تفسير القرآن*، (لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، دون سنة)، المجلد 4، ص. 135.

[5] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، (القاهرة: دار القلم، 1970)، ص. 85-89.

[6] محمد قطب، دراسات قرآنية، (القاهرة: دار الشروق، 1980)، ص. 45.

[7] كارل ماركس، البيان الشيوعي، ترجمة: جورج طرابيشي، (بيروت: دار الطليعة، 1986)، ص. 12-15.

[8] محمد عمارة، الإسلام والفكر الاقتصادي، (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، 1998)، ص. 56-59.

[9] كارل ماركس، رأس المال: نقد الاقتصاد السياسي، ترجمة: فؤاد أيوب، (بيروت: دار التقدم، 1973)، ص. 94-97.

[10] فهمي جدعان، أسس الفلسفة الاجتماعية، (عمان: دار الأهلية للنشر والتوزيع، 2002)، ص. 223.

المقاربة التعبيرية تركز على تحليل أسباب اختيار القرآن وكارل ماركس للكلمات والأساليب في التعبير عن قضية "الصراع بين الطبقات الاجتماعية" في سياقها العام، وهذه المقاربة هي الأكثر مناسبة لهذا النوع من الدراسات. ومع ذلك، لا يقتصر الباحث على هذه المقاربة بل يمتد إلى استخدام المقاربة التأويلية. المقاربة التأويلية تُستخدم لفهم بنية المعاني المرادة، سواء كانت هذه المعاني موضوعية كما أرادها صاحب النص، أو معاني ذاتية أدركها الباحث.

الإطار النظري عن الطبقات الاجتماعية والصراع بينها

رغم أن نظام الطبقات الاجتماعية قد مارسته الحضارة البشرية منذ آلاف السنين، إلا أن تحديد مفهوم هذه الطبقات ليس بالأمر السهل تمامًا. فهناك العديد من الحدود الاجتماعية العامة التي تتضمنها مفاهيم الطبقات الاجتماعية، وتختلف هذه الحدود بناءً على التعاريف والسياقات المختلفة.[11] لذلك، لا يمكن فهم المفهوم بشكل شامل إلا من خلال تفاعل وتداخل هذه الحدود المترابطة. في محاولة لتحديد حدود مفهوم الطبقة الاجتماعية، سنلقي نظرة على الجوانب اللغوية والمصطلحية التي تمثلها المراجع.[12] يتألف مصطلح "الطبقة الاجتماعية" من كلمتين: "طبقة" و "اجتماعية". تحمل الكلمة الأولى معاني مختلفة في اللغة العلمية واللغة الاجتماعية. من الناحية اللغوية، تعني "الطبقة" التنوع والتقسيم في العديد من اللغات الدولية، مثل كلمة "classe" في الفرنسية و "class"في الإنجليزية.[13]

وأما مفهوم الطبقة الاجتماعية "بنسبة معناها الاجتماعي" في اللغة العربية، فيمكن العثور عليه في معجم "لسان العرب"، حيث يُعرف مصطلح "طبقات الناس" بأنه يشير إلى منازلهم ومراتبهم في المجتمع. [14] بينما في اللغات الأوروبية، مثل الفرنسية والإنجليزية، لم يظهر مفهوم الطبقة الاجتماعية إلا في العصور القريبة، حيث بدأ يُستخدم أكثر عندما وضع كارل ماركس نظريته حول صراع الطبقات في القرنين 18 و 19 الميلاديين.

وقد أشار الباحث فيما سبق إلى أنه يصعب تحديد معنى الطبقة الاجتماعية والاختلافات التى واجهت ذلك من مختلف الاتجاهات المتنوعة. فكان بعض المفكرين يستخدمون الاتجاه الذاتي، وبعضهم يستخدمون الاتجاه الموضوعي، في حين أن البعض الآخر من المفكرين يحاولون أن يجمعوا بين هذين الاتجاهين. ومع ذلك، فقد ورد في الكنوز العلمية من

[11] إبراهيم الحيدري، النظام الطبقي والصراع الاجتماعي في المجتمع العربي، (بيروت: دار الساقي، 2002)، ص. 45-50.

[12] أنور عبد الملك، مفاهيم المجتمع والنظام الاجتماعي، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1980)، ص. 67-71.

[13] محمد ثابت الفندي، *الطبقات الاجتماعية*، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1949 م) ص. 10.

[14] محمد ثابت الفندي، *الطبقات الاجتماعية*، ص. 12.

علم الاجتماع أن هناك تيارين يؤثران في الفكر السوسيولوجي الحديث فيما يتعلق بالطبقة وهما الاتجاه الماركسي ومقابله الاتجاه الفيبري.

فالطبقة كما عرفها كارل ماركس هي أي تجمع لأشخاص يؤدون نفس الوظيفة في عملية تنظيم الإنتاج، وتختلف الطبقات عن بعضها البعض على أساس أوضاعها الاقتصادية. ويعنى بهذا أن ظهور الطبقات الاجتماعية يستند إلى الوظيفة المشترك في إطار عملية الإنتاج، أو بعبارة أخرى كانت عملية الإنتاج هي التي تجعل –بالفعل– ظهور الطبقات الاجتماعية.[15]

وأما الطبقة كما رآه ماكس فيبر Max Weber فتعرف بأنها أية جماعة من الأشخاص الذين يشغلون نفس المكانة الطبقية، فهو يميز بين الطبقة المالكة التي تحدد مكانة الأعضاء فيها على أساس التمايز في توزيع الملكية، وبين الطبقة المكتسبة التي تحدد الوضع الطبقي عن طريق مدى استغلال الفرص المتاحة، والطبقة الاجتماعية التي تتحدد على أساس مجموعة المكانات الطبقية للأفراد، فالمصلحة الطبقية —لدى فيبر– هي العامل الجوهري في الوجود الطبقي.[16]

وبهذا علمنا أن اختلافات تعريفات الطبقة الاجتماعية تصدر من هذين الاتجاهين، فهناك تعاريف مؤيدة، ومنتقدة لهذين الاتجاهين إضافة إلى تعاريف داعمة مضيفة. وبصفة عامة يمكن القول بأن الطبقة الاجتماعية هي مجموعة كبيرة من الناس تتجانس فيما بينها —في ظل تكوين اجتماعي محدد — من حيث موقعها من عملية الإنتاج ومن ملكية وسائل الإنتاج إضافة إلى موقعها من حيث أسلوب تحصيلها للدخل وبكمية هذا الدخل.[17]

التعبير القرآني في قضية الطبقات الاجتماعية والصراع بينها

بالنظر إلى الظروف الاجتماعية التي كانت موجودة قبل ظهور الإسلام، يُظهر القرآن الكريم استجابة شاملة لهذه الواقعية الاجتماعية القديمة،[18] ويقدم توجيهات وحلولاً تهدف إلى تحسين الحالة الاجتماعية للمجتمع المسلم. كمصدر

---

[15] كورنياتي عابدين، *آفاق فهم علم الاجتماع*، (بالإندونيسية):
Kurniati Abidin, *Cakrawala Memahami Sosiologi,* (Yogyakarta: TrustMedia Publishing, 2022), p. 9.

[16] ماكس فيبر، *ماكس فيبر: مختارات في الترجمة* (بالإنجليزية):
Max Weber, *Max Weber: Selections in Translation* (Cambridge: Cambridge University Press, 1978), p. 145.

[17] محمد زكي، *وداعا للطبقة الوسطى*، (القاهرة: مكتبة الاسرة، 1999)، ص8.

[18] ***محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر*** حضارتهم، (مصر، دار الثقافة العربية، 2002)، ص. 269.

رئيسي للإرشاد والتوجيه، جاء القرآن ليكون نهجًا للنبي محمد في دعوته ولإرشاد المسلمين نحو بناء مجتمع يقوم على العدل والإنصاف، ويحثهم على النهوض من ظلمات الاجتماعات الظالمة إلى ضوء النظم الاجتماعية العادلة.

موقف القرآن من قضية الطبقات الاجتماعية يُظهر في إشارته إلى التفاوت الطبقي بين الناس في المجتمع، وهو موقف يحث على التفكّر في هذه الظاهرة وتحقيق العدالة والتوازن في المجتمع. يتضح هذا الرؤية من خلال الآيات القرآنية التالية:

أ) في الآية 32 من سورة النساء: "وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ"

ب) في الآية 71 من سورة النحل: "وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ"

ج) في الآية 21 من سورة الإسراء: "انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ"

د) في الآية 32 من سورة الزخرف: "نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ"

هذه الآيات تُظهر قسمة الله للأموال والمواهب والمراتب في الحياة الدنيا، مما يُشير إلى وجود التفاوت الطبقي والرفعة بعضهم فوق بعض في الدرجات. ومن خلال هذه الإشارات، يُعزز القرآن فكرة التأمل في العدل والتوازن الاجتماعي دون إظهار موقف مطلق يؤيد أو يرفض الطبقات الاجتماعية. وأمثال هذه الآيات المذكورة دلت على تقرير الحقائق الظاهرة في المجتمع من التفاوت الطبقي والاعتراف بوجود الطبقات الاجتماعية لأنها سنة من سنن الله في هذه الحياة الدنيا بأن يقدر قدرة تامة على أن يفضل بعض الناس على بعض بنتوع أشكال التفضيل. وأخذنا مثالا من ناحية الرزق فمنهم الفقراء والأغنياء، ومن ناحية الجسم فمنهم الأقوياء والضعفاء، ومن ناحية العقل فمنهم عقلاء وجهلاء وهلم جرا.[19]

والقرآن لا يعترف بظاهرة الطبقات الاجتماعية إلا في حال توافر "الحكم الإلهي" الذي يتماشى مع سنة الحياة الدنيا ويتناسب مع طبيعة البشر. يشير القرآن إلى هذا المفهوم في الآية 165 من سورة الأنعام (ليبلوكم فيما آتاكم وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ)، حيث يُظهر الله للناس التفاوت في المراتب والدرجات لاختبارهم وابتلائهم.[20] وفي الوقت نفسه، يُظهر القرآن أن مسار الحياة الدنيا يستند على تنوع الأدوار والمسؤوليات المختلفة، كما يُشير في الآية 61 من سورة هود (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها). هاتان الآيتان

[19] محمد قريش شهاب، *بصائر من القرآن*، بالإندونيسية:

M. Quraish Shihab, Wawasan al-Qur'an, (Bandung: Mizan, 1996), p. 113.

[20] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الفكر، 1997)، المجلد الثاني، ص. 247-248.

تدلان على أن الاختلاف في الطبقات الاجتماعية يعكس تنوع الأدوار البشرية والمسار الذي ينبغي أن تسلكه الحياة الدنيا،[21] ويؤكد على أنه لا يمكن تحقيق هذه الأهداف إلا من خلال التفاوت الطبقي.

وكان من المهمّ أن لايقتصر القرآن على مجرد الإقرار بهذه القضية إقرارا مطلقا ولم يكتف أيضا بمجرد الاعتراف بها اعترافا مطلقا لكنه مع ذلك يقوم بإقامة حدودها الثقيلة. وبعبارة أخرى فكأن هذه الظاهرة في منظور القرآن ظاهرة مقررة معترف بها لكنها محددة تكاد حدودها تبلغ حد الانغلاق. وهذا هو فيصل التفرقة بينه وبين شائر المذاهب البشرية الأخرى.

جاء القرآن بفكرة نظام اجتماعي متكافئ، حيث لا يتم التفرقة بين الناس بناءً على الثراء أو القوة. بدلاً من ذلك، يشجع على التعاون والتضامن بين الطبقات المختلفة، مستندًا إلى فكرة التكامل والترابط التي وردت في القرآن. يُشجع الأثرياء على مساعدة الفقراء، ويُحث الفقراء على قبول ما أعطاه الله لغيرهم. كما يُشجع أصحاب العلم على مشاركة معارفهم مع الآخرين، ويُحث الجهلاء على السعي للتعلم. فالقرآن يدعو إلى بناء حياة متسمة بالتكامل والترابط،[22] وهذا ما يظهر من قوله تعالى في الآية 49 من سورة الذاريات "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ".

نقل الطبري قول مجاهد في تفسير هذه الآية قائلا:[23] "وأقرب الرأيين في هذا الأمر هو قول مجاهد، حيث يفسر أن الله تعالى خلق لكلّ مخلوق من مخلوقاته شيئًا آخر مختلفًا في طبيعته، فيكون كلّ واحد منهما زوجًا للآخر، ولذلك يُقال: خلقنا زوجين". وكذلك ذهب متولي الشعراوي[24] إلى أن هذه الآية تكشف عن حقيقة مدهشة في عملية الخلق في هذا العالم، حيث تشير إلى أن كل شيء من الأحياء والكائنات الأخرى خُلِقَتْ على شكل صنفين زوجين، مما يكشف عن تنوع وتناغم في الخلق يعد أمرًا مدهشًا كما أكده القرآن في موضع آخر من قوله تعالى: سُبْحَانَ ٱلَّذِي خَلَق ٱلأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ ٱلأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ. (يس: 36). وعندما نعلم أن هذا النص يعود إلى قرون مضت، وأن مفهوم الزوجية كان غير معروف في ذلك الوقت، ندرك قيمة هذه الحقيقة القديمة، وتأثيرها الكبير على تفكيرنا بالحاضر.

---

[21] ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2004)، المجلد 2، ص. 203-204.

[22] الجلال السيوطي والجلال المحلي، تفسير الجلالين، (بيروت: دار الفكر، 1998)، ص. 899.

[23] ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، دون سنة)، المجلد 22، ص. 140.

[24] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، (القاهرة: مطبعة أخبار اليوم، دون سنة)، المجلد 18، ص. 388.

ومن خلال التقدم العلمي، نرى أن الدراسات توحي بأن بنية الكون تتألف من زوجية، مثل الكهرباء الموجبة والسالبة، ما يؤكد توافق العلم مع الحقيقة المذكورة في هذه الآية.

وبهذا، فالقرآن يعترف بوجود الاختلافات بين الناس، ولكنه لا يدعو إلى توحيدها أو السيطرة عليها. بدلاً من ذلك، يبرز القرآن الحقيقة الأبدية في طبيعة الوجود، مع التأكيد على عدم المساواة في الظروف المعيشية والاقتصادية التي قد تختلف من مجتمع إلى آخر. ومع ذلك، يُظهر القرآن الدعوة إلى عدم المساواة في الطبيعة البشرية، حيث يُحث على العدل والإنصاف والتعاطف بين الناس دون أي تمييز.

تعبير كارل ماركس في قضية الطبقات الاجتماعية والصراع بينها

ظاهرة الصراعات الطبقية وضرورة إلغائها عند كارل ماركس

كان كارل ماركس –في الحقيقة– لم يقدم نظرية التقسيم الطبقي، لكنه قدّم نظرية "الطبقات الاجتماعية" على أساس التقسيم الطبقي أو عدم المساواة الطبقية في المجتمع. ومن المعروف أن كارل ماركس هو الفيلسوف الذي قدم بدائل جذرية للغاية فيما يتعلق بطبيعة الطبقات الاجتماعية. وكانت نظرية الصراع بين الطبقات (Struggle of Classes) عند كارل ماركس يعتبرها أنصار الماركسية من أهمّ أفكاره. ودل على ذلك أن ماركس قد كتب في بداية كتابه "البيان الشيوعي The Communist Manifesto" شعارا يشير إلى محور فكره فيما يلي:[25]

> The history of all hitherto existing societies is the history of class struggles. Freeman and slave, patrician and plebeian, lord and serf, guild-master and journeyman, in a word, oppressor and oppressed, stood in constant opposition to one another, carried on an interrupted, now hidden, now open fight, a fight that each time ended in a revolutionary reconstruction of society at large, or in the common ruin of the contending classes.
>
> تاريخ كل مجتمع حتى الآن هو تاريخ الصراع الطبقي. هناك حرّ وعبد، وارستقراطي وعامي، وسيد وعبد عامل، وصاحب ثروة نقابية وعامل بارع. وفي كلمة واحدة هناك ظالم ومظلوم يقفان موقف التعارض المستمر بينهما الذي أدى إلى الانقطاع، قد يكون الصراع

[25] Karl Marx, *The Communist Manifesto of Karl Marx and Friedrich Engels*, (New York: Pathfinder Press., 1972), p. 241.

مخفيا الآن، وقد يكون الصراع مفتوحا أيضا، وهذا الصراع في نعض الأحيان أدى إلى إعادة بناء الثورة للمجتمع بشكل عام، أدى إلى الخراب المشترك للطبقتين المتصارعتين.

يعتبر ماركس الطبقة الاجتماعية مجموعة من المبادئ الاجتماعية التي تؤدي إلى الصراعات داخل المجتمع، وتؤثر في تغيير البنية الاقتصادية لهذه الطبقات. وبناءً على هذا الاستدلال، يمكن للفرد فهم مصالح الطبقات المختلفة داخل المجتمع من خلال الثورات التي شهدتها المجتمعات في الماضي. تُظهر هذه الحقائق النظرية الماركسية أن تاريخ البشرية يتخلله الصراعات بين الجماعات والطبقات الاجتماعية. وقد أقر ماركس نفسه بأن الصراعات الطبقية أو الثورات الاجتماعية لا تنشأ من طبقة واحدة في المجتمع، بل تعكس تعبيرًا لمطالب جماهير المجتمع وظهور الفوائد المشتركة مع جميع أفراده.[26]

وفي الفصل الأخير من كتابه "رأس المال Das Kapital"، الذي يأتي في مجلده الثالث، قام ماركس بتقسيم المجتمع الرأسمالي إلى ثلاث طبقات رئيسية. هذه الطبقات هي العمال، والرأسماليون، وملاك الأراضي. ورغم أنه قد تم محاولة إلغاء الفجوة بين الطبقات من خلال إنشاء هياكل طبقية وسطى أو رأسمالية، فإن الهيكل الأساسي الذي وضعه ماركس ما زال قويًا ويظل مرجعية في تحليل الهياكل الطبقية في المجتمعات الرأسمالية.[27]

ومع ذلك، فإن تطور نظام الصناعة الرأسمالية قدّم لنا نوعين من الطبقات وهما الطبقة البرجوازية bourgeois والطبقة البروليتارية proletariat. وبالتالي، سيتم تصنيف طبقة العمال بمثابة الطبقة البروليتارية، في حين أن طبقة الرأسماليين وطبقة ملاك الأراضي وأصحابها تمثلان الطبقة البرجوازية. وفي هذا الحال، فالطبقة البرجوازية المتكونة طبقة الرأسماليين وطبقة ملاك الأراضي يتنافس ويتصارع أجزاءها في أخذ الأرباح والثروات، وحينذاك لا يصبح المغلوب منهما إلا في موقف البروليتاريا ايضا.[28]

في كتابه "بؤس الفلسفة Poverty of Philosophy"، أوضح كارل ماركس أن الطبقة البروليتارية، المظلومة والمستضعفة، تتعرض للاستغلال، مما يؤدي إلى ظهور "العداء الطبقي". ويمكن أن يكون هذا العداء دافعًا لرغبة الطبقة المظلومة في التحرر من القيود الظالمة التي تفرض عليها. وتُعتبر هذه الرغبة قوة دافعة رئيسية للطبقات المستضعفة في تشكيل نظام اجتماعي جديد. وعندما تنتقل هذه الطبقات المضطهدة إلى الغلبة على وسائل الإنتاج، فإن العلاقات

[26] McLellan, *Karl Marx: Selected Writing,* (London : Oxford University, 1977), p. 169
[27] Karl Marx, *Capital.* Jil 1. (Moscow : Progress Publisher,1959), p. 504)
[28] McLellan, *The Thought of Karl Marx: An Introduction*, Ed. ke-2. (London : The Macmillan Press Ltd., 1971), p. 178

الاجتماعية تتغير، حيث تتحول الطبقة السابقة المهيمنة إلى المهزومة. وبالتالي، تصبح الطبقة البروليتارية، التي تملك القوة الإنتاجية، هي الطبقة الثورية. وتسعى هذه الطبقة إلى تغيير البنية الاجتماعية من خلال اللجوء إلى الثورة واستخدام العنف للتحرر من الظلم والاستغلال.[29]

كارل ماركس وأصول نظرية الصراع الطبقي الاجتماعي

في رؤية كارل ماركس، يتمثل تفسير القيم والتحولات في النظام الاقتصادي الكلاسيكي عندما يتم استناده إلى قوانين النظم الكلاسيكية في علم الفيزياء. يطلق عليه "قوانين الحركة" أو "وجهة الحركة التاريخية" للتنمية، وهي نتيجة لصراع غير مخطط له بين الطبقتين المتعارضتين. وتوضح قوانين الفيزياء أن قوة الدافع تؤدي إلى ظهور أساليب الناتج التي تتباين في اتجاهاتها وحجماتها من جانبين. ويحدث الأمر نفسه في الصراع الطبقي، حيث يعطي التطور الرأسمالي فرصة لظهور "القوانين" والأزمات التي لم يتم تخطيطها مسبقًا. وفي هذا قال كارل ماركس:

> "In considering such transformations it is always necessary to distinguish between the transformation of the economic conditions of production, which can be determined with the precision of natural science, and the legal, political, religious, artistic or philosophic, in short ideological, forms in which men become conscious of this conflict and fight it out"[30]
>
> "وعند النظر إلى هذه التحولات، فلا بد من دوام ضرورة التمييز بين تحولات الظروف الاقتصادية للإنتاج التي يمكن تحديدها مع دقة العلوم الطبيعية، والأشكال القانونية والسياسية والدينية والفنية والفلسفية، وباختصار أن تكون هذه كلها أيديولوجية، وهي الأشكال التي بها أصبح الرجال ذوي وعي قوي لهذا الصراع والكفاح من أجل الخروج منه.

فليس هناك مجال لتحقيق المنافع والقيم المشتركة من خلال تبادل البشر إذا تتجلى المنفعة أو القيمة بمجرد ظواهرها لا بتوسيعاتها الذاتية كما في رؤية تحليلية عند قبل النمساوية لمفهوم السوق بأنها "عملية".

[29] Karl Marx, *Poverty of Philosophy*. Moscow : Foreign Language Publishing House, w.y.), p. 214.

[30] Karl Marx, "Preface" to "A Contribution to the Critique of Political Economy" (Jerman: Zur Kritik der Politischen Ökonomie, 1859).

أساليب "الصراع الطبقي" عند ماركس

يرى ماركس أن الطريقة التي يمكن من خلالها إلغاء نظام الطبقة الاجتماعية هي من خلال بناء نظام اجتماعي جديد. ويتمثل هذا النظام الجديد في إقامة المجتمع اللاطبقي، أو ما يُعرف بالشيوعية. وبالتالي، يجب على طبقة البروليتاريا أن تكون قادرة على تحقيق الثورة الاشتراكية، التي من شروطها الرئيسية هي سيطرة البروليتاريا وهيمنتها على الطبقات الأخرى. وإلا فإن إقامة الأنظمة الاشتراكية ستكون غير ممكنة.

وعلاوة على ذلك، يُشير فهم الثورة إلى أن الجهود المبذولة لتحقيقها ستواجه الفشل إذا لم تمتلك طبقة البروليتاريا السلطة في الدولة كأداة أساسية لإطاحة النظام الرأسمالي. هذا يعني أنه لا يكفي أن تكون هناك طموحات للتغيير والثورة، بل يجب أيضًا أن تكون هناك القدرة الفعّالة على تحقيق تلك الأهداف من خلال السيطرة على آليات الحكم والقرار في الدولة. إذا لم تكن هذه الطبقة قادرة على تحقيق ذلك، فإن الجهود الثورية ستواجه تحديات كبيرة في تحقيق أهدافها المنشودة. وفي هذا يقول ماركس فيما يلي:[31]

> The working class in the course of its development will substitute for the old civil society, an association which will exclude classes and their antagonism, and there will be no more political power properly so-called, since political power is precisely the official expression of antagonism in civil society.
>
> إن الطبقة العاملة في مسار تطوره ستبدل المجتمع المدني القديم، وهي المؤسسة التي سوف تستبعد الطبقات الاجتماعية وستكون عدوا لهم، وبالتالي فليس هناك ما يسمى بشكل صحيح من السلطات السياسية، وذلك لأن السلطة السياسية على وجه التحديد هي التعبير الرسمي من العداء في المجتمع المدني.

وفي هذا السياق، يؤكد ماركس على ضرورة إلغاء الرأسمالية كخطوة أساسية ولازمة. ويشترط أن تكون طبقة البروليتاريا قادرة على الاستيلاء على سلطة الدولة والسيطرة عليها، حيث تستخدم الدولة في خدمة مصالح الطبقة العاملة والصراع من أجل تحقيق المساواة في الحقوق والممتلكات. ويرى ماركس أن تولي البروليتاريا لسلطة الدولة مؤقتًا فقط، وليس بشكل دائم. [32] يعتبر ماركس أن تاريخ النضال الإنساني هو تاريخ الصراع الطبقي، ويشير إلى أن الدولة ليست سوى أداة

[31] Karl Marx, *Poverty of Philosophy*, (Moscow: Foreign Language Publishing House, w.y). P. 167.

[32] Ozinga, *Communism: Story of the Idea and Its Implementation*. Second edition. (London: Prentice-Hall International Ltd., 1991), p. 62.

تستخدمها الطبقات الحاكمة لقمع الطبقات التابعة. ويعتبر أن نهاية هذه الهيمنة حتمية مع إلغاء النظام الرأسمالي، وهو دليل على فوز طبقة البروليتاريا التي تقودها طبقة العمال.

المقاربة التعبيرية في ملاحظة التعابير القرآنية

حدد الباحث في هذه المقاربة بالتركيز على جزء الفرق اللغوي أو الفروق اللغوية، وذلك فيما يلي:

الفرق بين التفضيل والتمييز في مثل قوله تعالى "والله فضل بعضكم على بعض في الرزق"

كلمة "التفضيل"،[33] في قوله تعالى "فضل" و"فضلنا"، تعني الزيادة عن الاقتصاد، ويمكن تقسيمها إلى نوعين: الأول محمود كفضل العلم والحلم، والثاني مذموم كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه. الفضل في الصفات المحمودة أكثر استخدامًا، بينما الفضول في الصفات المذمومة. وعند استخدام الفضل للإشارة إلى زيادة أحد الأشياء على الآخر، يمكن تصنيفه إلى ثلاثة أنواع: فضل من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات، وفضل من حيث النوع كفضل الإنسان على غيره من الحيوانات، وعلى هذا النحو قوله: **"**ولقد كرمنا بني آدم**.....** تفضيلا**"** (سورة الإسراء:70). وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر. الأولاد جوهريون ولا يمكن للناقص فيهما أن يزيل نقصه ويستفيد من الفضل، كما في حالة الفرس والحمار الذين لا يمكنهما اكتساب الفضيلة التي خص بها الإنسان. يُمكن أن يكون الفضل الثالث عرضيًا ويمكن اكتسابه، كما في التفضيل المذكور في قوله تعالى: "والله فضل بعضكم على بعض في الرزق" (النحل: 71)، حيث يُشير إلى المال وما يكتسب. وكل هبة لا تلزم من يعطي يُسمى لها "فضل"، كما في قوله: "واسألوا الله من فضله".

كلمة "الميز" و"التمييز" تعني الفصل بين المتشابهات، كما يقال: مازه يميزه ميزا، وميزه تمييزا، كما ذكر تعالى: "ليميز الله"، ويُقرأ أحيانًا: "ليميز الله الخبيث من الطيب". والتمييز يُستخدم أحيانًا للفصل، وأحيانًا للدلالة على القوة التي في الدماغ والتي تُستخدم لاستنباط المعاني. ويُقال أيضًا: فلان لا تمييز له، ويُقال: انماز وامتاز، كما ورد في القرآن: "وامتازوا اليوم" (يس: 59). وكذلك يُستخدم مصطلح "تميز" بمعنى الانفصال والانقطاع، كما جاء في قوله تعالى: "تكاد تميز من الغيظ" (الملك: 8).[34]

[33] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (دمشق: دار القلم، دون سنة) ص 75 جزء 2.

[34] نفس المرجع، ص 168، جزء 2.

الفرق بين الرفع والإعلاء في مثل قوله تعالى "نحن قسمنا ..... ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات"

الرفع والرفعة مصدران من كلمة رفع الواردة في الآية المذكورة، وأما الإعلاء فمأخوذ من العلو. وقال أبو هلال العسكري: "الفرق بين الرفعة والعلو أنهما بمعنى واحد في اللغة، وهو الفوقية. وقد يخصص العلو في حقه سبحانه بعلوه على الخلق بالقدرة عليهم. والرفعة بارتفاعه عن الاشياء والاتصاف بصفاتها وبالعكس، وقال الطبرسي: الفرق بينهما أن العلو قد يكون بمعنى الاقتدار وبمعنى العلو في المكان، والرفيع من رفع المكان لا غير. ولذلك لايوصف الله سبحانه بأنه رفيع. وأما وصفه ب"رفيع الدرجات" فإنه وصف الدرجات بالرفعة. وفيه نظر فإن الرفيع من جملة أسماء الله سبحانه، ذكره الصدوق في التوحيد، وغيره في غيره. فمنعه من وصفه سبحانه بالرفع ممنوع".[35]

الفرق بين الاستعمار والسيطرة في قوله تعالى " هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا "

كلمة الاستعمار في قوله تعالى "واستعمركم فيها" مستمدة من مصطلح العمارة، الذي يعبر عن البناء والتطوير، وهو النقيض من الخراب. يُقال: عمر أرضه يعمرها عمارة. كما جاء في قوله تعالى: "وعمارة المسجد الحرام". ويُستخدم مصطلح "عمر" لوصف عملية البناء، حيث يُقال: عمرته فعمر فهو معمور. كما ورد في القرآن: "وعمروها أكثر مما عمروها" و"البيت المعمور". وعندما يُقال إن الأرض "عمرتها واستعمرتها"، فذلك يعني أنها أُسندت إليه ليقوم بالبناء والتطوير، كما ورد في قوله تعالى: "واستعمركم فيها". والعمر يُشير إلى مدة استمرار الحياة والنشاط، وهو أقل من المدى الزمني للبقاء، فإذا قيل: طال عمره، فالمقصود هو استمرار بناءه الروحي والبدني. والتعمير: إعطاء العمر بالفعل، أو بالقول على سبيل الدعاء.

أما كلمة السيطرة فمأخوذة من مصطلح السطر،[36] الذي يشير إلى الصف المستقيم في الكتابة، أو الموقف الثابت، ويُقال: سطر فلانٌ كذا، أي كتب سطراً بعد سطر. وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في عدة مواضع مثل: "ن والقلم وما يسطرون" و"والطور، وكتاب مسطور"، حيث يشير إلى الكتابة المحفوظة والمثبتة. وفي بعض الآيات الأخرى، يُستخدم مصطلح "السطر" للإشارة إلى السلطة أو القوة، مثل في قوله تعالى: "فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر" و"أم هم الميسطرون". ويمكن أيضًا استخدام مصطلح "المسيطر" بمعنى القائم بالحفظ أو السيطرة، كما في قوله: "وما أنا عليكم بحفيظ" و"ورسلنا لديهم يكتبون".

---

[35] أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ماداة 1017 (الفرق بين الرفعة والعلو)

[36] نفس المرجع، ص 364 جزء 1.

الفرق بين الزوج والشريك في قوله تعالى " ومن كل شيء خلقنا زوجين"

قال الراغب الأصفهاني:[37]بأنه يعتاد تسمية الزوج لكل من الذكر والأنثى من الحيوانات المتزاوجة بـ "زوج"، وكذلك لكل مخلوق يتباين مع نظيره فيما يتشابهون فيه أو يعكسون، وهو كمثال الخف والنعل. وأشار إلى أن القرآن الكريم يستخدم مصطلح "زوج" للإشارة إلى هذا الازدواج، كما في قوله تعالى: "فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى" و"وزوجك الجنة". وأوضح أن الكلمة "زوجة" تستخدم في بعض الأحيان بمعنى الزوجة اللائقة. وأشار إلى أن كلمة الزوج تجمع عادةً إلى "أزواج"، مثل في قوله: "هم وأزواجهم" و"احشروا الذين ظلموا وأزواجهم"، مشيرًا إلى الأفراد المتشابهين الذين يتبعون في أفعالهم. وأوضح أن الأشياء في العالم تأتي عمومًا بأزواج، وليس لها استثناء، وأن هذا يعكس التركيب المركب لكل شيء، سواء كان ذلك بوجود نظير له أو مثالاً له أو تركيباً مشابهاً. وأشار إلى أن هذا الازدواج ينطبق على أصناف كثيرة من الكائنات، كما ورد في القرآن: "من كل زوج كريم" و"ثمانية أزواج"، و"وكنتم أزواجا ثلاثة"، مشيرًا إلى أن هذا القرار يتماشى مع تفسير الآيات بما يليها.

ويأتي مصطلح "شريك" من كلمة الشركة والمشاركة،[38] ويُفهم عادةً كخلط للملكين أو وجود شيء مشترك بين اثنين، سواءً كان ذلك بالعين مثل مشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية، أو بالمعنى كما في مشاركة الفرسين في الكمتة أو الدهمة. تُستخدم كلمة "شريك" بمعانٍ متعددة مثل "شركته"، "شاركته"، "تشاركوا"، "اشتركوا"، "أشركته في كذا"، كما جاء في قول الله تعالى: "وأشركه في أمري" (طه: 32). ويشير المصطلح أيضًا إلى وجود شيء مشترك بين شخصين أو أكثر، كما في قوله تعالى: "والثاني: الشرك الصغير"، وهو إشراك غير الله في بعض الأمور مثل الرياء والنفاق، كما ورد في قوله: "جعلا له شركاء فيما آتاهما" (الأعراف: 190). وفي الحديث النبوي ذُكر أن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا. يُستخدم مصطلح "شرك" أيضًا للدلالة على إشراك شخص آخر مع الله في العبادة، وهذا يُعتبر من أعظم أنواع الكفر، كما جاء في قوله تعالى: "إن الله لا يغفر أن يشرك به" (النساء: 48). وقد يُفرَّد المشركون عن أهل الكتاب، كما في قوله تعالى: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا" (الحج: 17).

[37] نفس المرجع، ص 340 جزء 1.

[38] نفس المرجع، ص 407 جزء 1.

المقاربة التعبيرية في ملاحظة تعابير كارل ماركس

ويثبّي الباحث في ملاحظة تعبير كارل ماركس بالتركيز على بعض تعابيره المذكورة في ثلاث الفقرات السابقة. ويأخذ الباحث كلمات أساسية رئيسية ثلاث لكل فقرة من هذه الفقرات الثلاث. وهي كلمة "ظالم ومظلوم" في الفقرة الأولى، وكلمة "الأيديولوجية" المبنية على العلوم الطبيعية والأشكال الفلسفية في الفقرة الثانية، وكلمة "إبدال المجتمع المدني القديم بالمؤسسة الجديدة مع سلطتها السياسية".

ويبدأ الباحث باستخدام كارل ماركس لكلمة "الظالم والمظلوم". استخدم كارل ماركس هذه الكلمة الأساسية "الظالم والمظلوم" بعد أن كان يذكر بضع كلمات أخرى متصلة ومتعلقة بها يتحد كلها في قضية "الصراع الطبقي". وهي كلمة الحرّ والعبد، وكلمة الارستقراطي والعامي، وكلمة السيد والعبد العامل، وكلمة الثروة النقابية والعامل البارع. وهذا الجانب التقابلي يشيرنا إلى أن كارل ماركس يقف موقف نهجه المعروف وهو نهج جدلي أخذه من فلسفة الفيلسوف هيجيل Hegel. فهذا النهج الجدلي مبنيي على مذهب الفهم الذي يرى أن الكون مازال في "عملية تطورية جدلية" وهي القبول والرفض. وفي هذه العملية التطورية الجدلية عناصر يتنافى بعضها بعضا ويتعارض ويتواسط ويتواسل. وبما أن كارل ماركس اعترف بالصراع الطبقي فكان من حقه أن يستخدم هذه القضايا المتعارضة ليصل بها إلى النتيجة وهي الصراع الطبقي المبني على الظلم.[39]

وكان استخدام كارل ماركس لكلمة "الأيديولوجية" المبنية على العلوم الطبيعية والأشكال الفلسفية يعرف من أن كارل ماركس كان يميل إلى مذهب "المادية" أو "المذهب المادي" بالإضافة إلى ميله إلى المذهب الجدلي بحيث تشتهر فلسفته بفلسفة "المادية الجدلية". وتصبح هذه "المادية الجدلية" أيديولوجيةً له فيما بعد حتى أن تصل إلينا على الرغم من تنوع مذاهب أفكارها. والمادية –التي هي جزء قليل أشدُّ راديكالا في علم الطبيعة– ترى أن الكون يمكن بيانه بطريق واضح من أشكاله المادية الطبيعية. وأما إضافة الناحية "الجدلية" إلى "المادية" في فلسفة كارل ماركس يستحق أن تكون الواقعات في الكون كلها تجري على شكل الترابط. وبعارة أخرى كانت المعرفة عند كارل ماركس تدرك بتناول هذه الواقعات المترابطة في الكون عن طريق جدلي. والطريق الجدلي عند كارل ماركس يتأسس على ظاهر الكون وماديته فيؤدي ذالك إلى أن الترابط بين هذه الواقعات يجري على شكل الكون الظاهر المادي الموضوعي.[40]

[39] Listiyono Santoso, "Paradigma Materialisme Dialektis dalam Epistemologi karl Marx" dalam Listiyono Santoso (Ed), *Epistemologi Kiri: Seri Pemikiran Tokoh,* (Jogyakarta: Ar-Ruzz Media, 2009), p. 35-49.

[40] *Ibid,* p. 35-49.

أما الهدف النهائي لفكر ماركس فهو استبدال النظام المجتمعي القديم بنظام جديد يتمتع بسلطة سياسية جديدة. هذا الاستبدال يأتي في سياق صراع الطبقات الاجتماعية الذي كان حاضرًا في العصور التي سبقت ظهور أفكار ماركس. فقد كانت فلسفة "السببية" تهيمن على الفلسفات السابقة، حيث كانت تنظر إلى الأمور الكونية من منظور ترابطي سببي، دون أن تعير اهتمامًا للأبعاد الغائية أو المقاصدية.[41] هذا التوجه الفلسفي أيضًا يندرج في إطار صراع الطبقات، حيث كان يهدف إلى تبرير الهيمنة الاجتماعية والاقتصادية للطبقات الحاكمة. وكان ماركس تأثر بهذا السياق الفلسفي وبالتبعات الاجتماعية له، وقام ببناء أفكاره ومبادئه على هذا الأساس. يظهر في فلسفته التأكيد على ضرورة استبدال النظام القديم المستند إلى التفاوت الطبقي، بنظام جديد يتسم بالعدالة الاجتماعية وتوزيع الموارد بشكل عادل.[42] ورغم استخدامه لنهج جدلي في فلسفته المادية، فإن هذا النهج يظل جزءًا من إطار مادي سببي يرتبط بصراع الطبقات الاجتماعية والتحولات الاقتصادية والسياسية التي تحدث في المجتمع. [43]

المقاربة التأويلية في ملاحظة تعابير القرآن وكارل ماركس

بداية لايُنْكَر للإسلام كسائر الأديان السماوية الأخرى أنه دين الجماعة. والإسلام نفسه لا يعترف بالإجحاف بحقوق "الفرد"، ولا بالإنكار لوجود التفاوت الطبقي بالمعنى الاجتماعي في إطار الأمة. وإنما هي العلاقات التي أقامتها الوسطية الإسلامية الجامعة بين "الفرد" و"الطبقة" و"الأمة" على نحو متميز وفريد. ومن هذا ذهب أبو حامد الغزالي إلى أن التكاليف الإسلامية نحو المسلم تنقسم إلى ما هو فردي (فرض عيني) وما هو اجتماعي (فرض كفائي)، وهما ينتظمهما نسق واحد، هو نسق نظام التكاليف الدينية. وفي هذا قال أبو حامد: "إن نظام الدين لا يصلح إلا بنظام الدنيا؛ فنظام الدين بالمعرفة والعبادة، لا يُتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن

---

[41] وكما هو معروف أن نظرية "الغائية" ظهرت بعد تحولات العلوم الطبيعية في طرق التفكير الفلسفية إلى قضية فلسفة الدين التي ظلت حتى القرون الوسطى بإعاة تصييغاتها كتعبير عن مراد الله من مخلوقاته. وتجري هذه الحالة إلى اعتراف المسلمي بالفلسفة فأسسوا مفاهيم الإسلام الكلامية بناء عليها وعلى المفاهيم السببية بمعناها الديني. فقام الفلاسفة المسلمون بإدخال فلسفة الإسلام على فلسفة اليونان ومهدوا طريق انطلاق النهضة الأوروبية العقلانية والمنطقات التجريبية الحداثية إلا ان من الأسف أن تتحول طرق التفكير الفلسفية في أوروبا من "غائية" إلى "سببية" لاسيما في القرن 17 الميلادي الذي فيه تظهر العلوم الحديثية المؤدية إلى أن الطبيعة لاتزيد عن كونها آلة ضخمة لامقصد لها على الرغم من أن يطلق عليها اسم علم تجريبي. اقرأ: جاسر عودة، *مقاصد الشريعة*، (بيروت: المعهد العلمي للفكر الإسلامي، دون سنة) ص 65-110.

[42] قارن مع: توماس سويل، الماركسية: الفلسفة والاقتصاد، بالإنجليزية:

Thomas Sowell, Marxism: Philosophy and Economics, (New York: William Morrow Paperbacks, 1985)

[43] *Ibid,* p. 35-49.

والأقوات والأمن. فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق هذه المهمات الضرورية. إن نظام الدنيا شرط لنظام الدين..".[44] ولذلك كانت فروض الكفاية (الاجتماعية) في المنهج الإسلامي آكدَ من فروض العين (الفردية)، للارتباط العضوي بينهما في النسق التكليفي الواحد، ولترتُّب التمكن من أداء كثير من فروض العين على تحقيق كثير من فروض الكفاية.

ومع هذا، يتضح أن الفروض الاجتماعية (الكفائية) لا تتحقق إلا بعد أداء الفروض العينية في نفس الوقت؛ لأن الأمة أو الجماعة تتكون من الأفراد، وبالتالي لا يمكن تجاهل دور الفرد ومكانته في الأمة. هذا الترابط بين الفروض الفردية والاجتماعية يُعبّر عن ارتباط الفرد بالأمة في المنهج الديني.[45] وعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد أبرز مكانة الأمة ووحدتها قائلاً: "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" (الأنبياء: 92)، إلا أن المنهج الإسلامي لا ينكر وجود الطبقة ولا التفاوت الطبقي ضمن الأمة وداخلها؛ فالتفاوت الطبقي الاجتماعي حقيقة تنبع من تفاوت الحوافز والقدرات والجهود المبذولة. الإسلام لا يتجاهل هذه الحقائق ولا يعارضها، بل يُحسِّنها ويُنظِّمها لتظل في إطار "المشروع" ونطاق "العدل". وهذا لا يعني المساواة المطلقة، بل يعني "التوازن والعدالة" بين الفروق المتفاوتة، كما أشار إليه قوله تعالى في الآية 71 من سورة النحل: "وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ".

والهدف من هذا التفاوت هو تحقيق التوازن والعدل، وليس إلغاء أو نفي الطبقات بشكل كامل، بل هو ضبط العلاقات الطبقية بحيث تبقى متوازنة وعادلة.[46] على عكس ما يروجه الصراع الطبقي الاجتماعي في النظرية الماركسية، حيث يعتبر كارل ماركس وأتباعه أن هناك طبقات اجتماعية تتصارع بشكل لا ينتهي. فعلى سبيل المثال، تسعى البرجوازية للتخلص من الإقطاع، بينما تسعى البروليتاريا للتخلص من البرجوازية. ولحل هذا الصراع، جاءت الفكرة اللاطبقية التي صاغها كارل ماركس، حيث يُفترض أن يكون المجتمع خاليًا من الطبقات وتسيطر عليه الحزب والدولة السياسية التي تتولى الحكم والسلطة الفكرية والمالية. ومن هنا جاءت مفاهيم الشيوعية والاشتراكية كبديل للرأسمالية، ولكن بشكل جديد وتحت مسميات مختلفة.

---

[44] أبو حامد الغزالي، *الاقتصاد في الاعتقاد*، (القاهرة: مطبعة صبيح، بدون تاريخ).

[45] الماوردي، *أدب الدنيا والدين*، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1973م)، ص. 134.

[46] ابن جرير الطبري، *تاريخ الطبري*، (القاهرة: دار المعارف، دون سنة)، ص. 203–204.

وقد أقر هذا التفاوت الطبقي "باب مدينة العلم" الإمام علي بن أبي طالب وقام بحله كما ورد في نهج البلاغة أنه يقول لواليه على مصر (مالك بن الحارث الأشتر النخعي):[47] "واعلم أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها: جنود الله، ومنها: كُتّاب العامة والخاصة، ومنها: قضاة العدل، ومنها: عمال الإنصاف والرفق، ومنها: أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها: التجار وأهل الصناعات. ومنها: الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة (أي هم العاجزون عن الكسب والتحصيل).. فالجنود حصون الرعية، وسبل الأمن. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج. ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب. ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار وذوي الصناعات".

ويتجلى فيما ذهب إليه الإمام علي أن المطلوب في تحقيق العدالة الاجتماعية ليس الصراع بين الطبقات، وإنما العدل المطلوب هو إقامة التوازن والقسط بين سائر الطبقات. ودل على ذلك قوله تعالى في الآية 32 من سورة الزخرف (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) فالتفاوت الطبقي لايكون هدفه إلا التساند والارتفاق، والعلاقة بين كل طبقات هي علاقة الرفق. وذلك لأن الطبيعة الكونية وظواهرها وقواها قد سخرها الله للإنسان يرتفق بها ويستعين على عمارة الأرض وتزيينها في شكل لحظة التوازن ودرجة العدل، كما أشار إليه النبي محمد بقوله: (مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمّى).

الخاتمة

نتائج البحث في هذه المقالة تشير إلى أن التعبيرات القرآنية تلمح إلى وجود التفاوت الطبقي الاجتماعي وتعترف به ضمن إطار "الأمة"، دون محاولة لإزالته. بل على العكس، يهدف القرآن إلى تحقيق التوازن والعدالة الشاملة بين مختلف الطبقات الاجتماعية، حيث يُعتبر التفاوت وسيلةً لتحقيق التوازن والعدالة، دون إقصاء أو إلغاء طبقة معينة. فيعترف القرآن بأن التفاوت الطبقي هو جزء من الهيكل الاجتماعي، ويسعى إلى توجيه المجتمع نحو العدالة من خلال الحفاظ على التوازن بين الطبقات. وبالمقابل، يعترف كارل ماركس أيضًا بوجود التفاوت الطبقي ولكنه يسعى إلى إزالته بالكامل، لأنه يعتبره مصدرًا للظلم والاستغلال. فالحل الذي اقترحه ماركس يتمثل في الأيديولوجية الشيوعية لتشكيل نظام اجتماعي خالٍ من الطبقات، حيث يتم توزيع السلطة والثروة بشكل عادل، مما يضمن القضاء على

[47] الإمام علي بن أبي طالب، *نهج البلاغة*، (القاهرة: دار الشعب، دون سنة) ص: 337.

هيمنة الطبقات والسياسات. يسعى ماركس إلى إعادة بناء المجتمع بشكل جذري لضمان العدالة الاجتماعية، بإزالة الفروقات الطبقية تمامًا. وبذلك، يتضح الفرق الأساسي بين النهجين؛ القرآن يسعى لتحقيق التوازن والعدالة مع الحفاظ على التنوع الاجتماعي، بينما يهدف ماركس إلى تحقيق العدالة من خلال إزالة الفروقات الاجتماعية بشكل كامل.

قائمة المصادر والمراجع

ابن أبي طالب، علي، *نهج البلاغة*، (القاهرة: دار الشعب، دون سنة)

ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، (بيروت: دار الفكر، 1997)

ابن نبي، مالك، *مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*، (دمشق: دار الفكر، 2002)

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني الشافعي، *رحمة الأمة في اختلاف الأئمة*، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، دون سنة)

الأصفهاني، الراغب، *مفردات ألفاظ القرآن*، (دمشق: دار القلم، دون سنة)

جدعان، فهمي، *أسس الفلسفة الاجتماعية*، (عمان: دار الأهلية للنشر والتوزيع، 2002)

الجلال السيوطي والجلال المحلي، *تفسير الجلالين*، (بيروت: دار الفكر، 1998)

الحيدري، إبراهيم، *النظام الطبقي والصراع الاجتماعي في المجتمع العربي*، (بيروت: دار الساقي، 2002)

دراز، محمد عبد الله، *النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم*، (القاهرة: دار القلم، 1970)

زكي، محمد، *وداعا للطبقة الوسطى*، (القاهرة: مكتبة الاسرة، 1999)

الشعراوي، محمد متولي، *تفسير الشعراوي*، (القاهرة: مطبعة أخبار اليوم، دون سنة)

الطباطبائي، محمد حسين، *الميزان في تفسير القرآن*، (لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، دون سنة)

الطبري، ابن جرير، *تاريخ الطبري*، (القاهرة: دار المعارف، دون سنة)

_____. *جامع البيان*، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2004)

عبد الملك، أنور، *مفاهيم المجتمع والنظام الاجتماعي*، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1980)

العسكري، أبو هلال، *معجم الفروق اللغوية*،

عمارة، محمد، *الإسلام والفكر الاقتصادي*، (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، 1998)

عودة، جاسر، *مقاصد الشريعة*، (بيروت: المعهد العلمي للفكر الإسلامي، دون سنة)

الغزالي، أبو حامد، *الاقتصاد في الاعتقاد*، (القاهرة: مطبعة صبيح، بدون تاريخ)

الفندي، محمد ثابت، الطبقات الاجتماعية، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1949)

ماركس، كارل، *البيان الشيوعي*، ترجمة: جورج طرابيشي، (بيروت: دار الطليعة، 1986)

_____. *رأس المال: نقد الاقتصاد السياسي*، ترجمة: فؤاد أيوب، (بيروت: دار التقدم، 1973)

الماوردي، *أدب الدنيا والدين*، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1973)

محمود، عرفة محمود، *العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم*، (مصر: دار الثقافة العربية، 2002)

قطب، محمد، *دراسات قرآنية*، (القاهرة: دار الشروق، 1980)

Abidin, Kurniati, *Cakrawala Memahami Sosiologi,* (Yogyakarta: TrustMedia Publishing, 2022)

Marx, Karl, *Capital*, (Moscow: Progress Publisher, 1959)

_____, *The Communist Manifesto of Karl Marx and Friedrich Engels,* (New York: Pathfinder Press, 1972)

_____, "Preface" to "A Contribution to the Critique of Political Economy", (Jerman: Zur Kritik der Politischen Ökonomie, 1859)

_____, *Poverty of Philosophy*, (Moscow: Foreign Language Publishing House, w.y.)

McLellan, *Karl Marx: Selected Writing,* (London: Oxford University, 1977)

_____. *The Thought of Karl Marx: An Introduction*, (London : The Macmillan Press Ltd., 1971)

Santoso, Listiyono, *Epistemologi Kiri: Seri Pemikiran Tokoh,* (Jogyakarta: Ar-Ruzz Media, 2009)

Shihab, M. Quraish, *Wawasan al-Qur'an*, (Bandung: Mizan, 1996)

Susanto, Tomas, *Konflik dan Perdamaian*, (Surabaya: CV Saga Jawadwipa, 2019)

Sowell, Thomas, *Marxism: Philosophy and Economics*, (New York: William Morrow Paperbacks, 1985)

Ozinga, *Communism: Story of the Idea and Its Implementation,* (London: Prentice-Hall International Ltd., 1991)

Weber, Max, *Max Weber: Selections in Translation*, (Cambridge: Cambridge University Press, 1978).